في اول الامر اما اليوم فقد خصصت لها اربع ساعات في الاسبوع وجميع مدارسها سائرة على هذا النسق فلا تستطيع واحدة منها ان تحيد عنهُ ابداً . واما في انكلترا فان العلوم الطبيعية لم تدخل مدارسها الاَّ بعد سنة ١٨٧٠ وقد سبقتها الولايات المتحدة فان العلوم الطبيعية اخذت تدخل مدارسها منذ سنة ١٨٣٢ وكانت اكثر المدارس قبل ذلك الوقت مقتصرة على العلوم الرياضية واللغوية على نحو ما هي عليهِ مدارسنا في الوقت الحاضر بولس شحاده

مستقبل البلاد العثمانية

ما من موضوع يهمُّ العثمانيين الآن في مشارق الارض ومغاربها اكثر من هذا الموضوع ولاسيما بعد ان فقدوا ولاياتهم في افريقية واوربا ولم يبقَ لهم الاَّ ولاياتهم في اسيا وعاصمتهم الاستانة وضواحيها

وقد اطَّلعنا الآن على مقالتين في هذا الموضوع الاولى لكاتب انكليزي مشهور نشرها في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية والثانية مبنية على كُتيِّب نشرهُ المرشار فون دو غولتز باشا الالماني فرأينا ان نلخص بعض ما جاء فيهما لانهُ مطابق لما يقول بهِ اكثر المفكرين ولانا نودُّ ان يطَّلع رجال الحكومة العثمانية على ما يقولهُ فيهم غيرهم ولاسيما ابناء الامَّة الانكليزية والامَّة الالمانية . قال الكاتب الاول

يقول البعض ان الاتراك غير اهل لسياسة البلدان لانهم لم يفلحوا في افريقية ولا في اوربا . ولكن هذا القول منقوض بدليل انهُ مضى عليهم بضعة قرون وفي يدهم سياسة ممالك كثيرة مختلفة الاجناس والاديان واللغات والتقاليد . ولقد قال احد سفرائنا منذ اربع مئة سنة وكان في الاستانة ان السلطنة العثمانية مشرفة على الانحلال . وكرَّر هذا القول غيرهُ في ازمنة مختلفة ولكن السلطنة العثمانية قاومت صروف الدهر ولم يبتدئ فيها الانحلال الاَّ حينما اخذت تصلح شؤونها في زمن السلطان محمود فحينئذٍ استقلَّت عنها بلاد اليونان ولتقدمت روسيا الى الدانيوب الاسفل واستولى محمد علي على مصر واحتلَّ الفرنسويون بلاد الجزائر . وزاد هذا الانحلال في عهد عبد الحميد فاخذ اليونان تساليا واخذت روسيا شرق الاناضول مع باطوم والقارص وامتلكت فرنسا تونس واستقلت رومانيا وسربيا وبلغاريا والجبل الاسود واحتلَّت النمسا البوسنة والهرسك وانكلترا مصر وقبرص . وختم هذا الفصل باخذ ايطاليا لطرابلس الغرب وحكومات البلقان لولايات الروملي . ومن غرائب الزمان ان

هذا الانحلال ابتدأ في عهد السلطان المصلح و بلغ حدَّهُ في عهد الحكومة الدستورية ولا مثيل لهُ في سرعتهِ في تاريخ دولة من دول الارض ولو اصاب بلاداً غير البلاد العثمانية لقضى عليها

ولكن ما بقي للعثمانيين من البلاد لا يزال واسعاً جدًّا كثير الخيرات فان ولاياتهم في اسيا تزيد مساحتها على مساحة البلاد الانكليزية خمسة اضعاف و بلاد العرب وحدها لا تقلُّ مساحتها عن بلاد الهند ولا نبالغ اذا قلنا انهُ لو اهتمَّ الاتراك بولاياتهم في اسيا عشر اهتمامهم بولاياتهم في اوربا لكان عندهم الآن مملكة من اقوى الممالك واغناها ولكنهم اخطأوا في محاولتهم البقاء في اوربا فجنوا نتيجة خطاهم

اثبتت في الشرق روح جديدة حينما اثبتت اليابان ان ممالك اوربا ليست مما يستحيل التغلُّب عليهِ. ثم انتشرت هذه الروح شمالاً وجنوباً وغرباً فايقظت الصين من سبات العصور الغابرة ونبهت الهند الى مطالب كثيرة واحيت في ايران ذكرى ملوكها السالفين واقامت المصريين وافندتهم واغرت الاتراك فطوَّحوا بملكهم

والآن لم يبقَ للاتراك الاَّ ان يتلافوا خطأهم ويعودوا الى الاهتمام بولاياتهم التي طال اهمالهم لها في بر الاناضول و بلاد العرب. وسياسة هذه الولايات ليست بالامر السهل لان سكانها ليسوا امَّة واحدة ولاهم شديدو الولاء للاتراك. و يقدَّر عددهم بسبعة عشر مليوناً في بر الاناضول ٤٠٠٠٠٠٠ من المسلمين و ٥٠٠٠٠٠٠ من المسيحيين ونصف مليون من اليهود. وفي ارمينية وكردستان ١٦٠٠٠٠٠ من المسلمين و ٩٠٠٠٠٠ من المسيحيين وفي سورية والعراق ٣٥٠٠٠٠٠ من المسلمين و ١٢٠٠٠٠٠ من المسيحيين واليهود وفي بلاد العرب الخاضعة فعلاً للدولة العثمانية ١١٠٠٠٠٠ وكلهم مسلمون

وحقيقة هذا الاحصاء لا تُعلَم بالضبط ولا هو يدلُّ على اختلاف اولئك الاقوام جنساً ومذهباً. فالعرب والارمن والشراكسة والاكراد والتركمان واليونان واليهود مختلطون ممتزجون في تلك الولايات كاختلاط امم البلقان ولكن يفرق بينهم و بين البلقانيين ان لكل امَّة من امم البلقان جاذباً يجذبها اليهِ البلغار للبلغار والصرب للصرب والالبان للالبان واليونان لليونان اما امم اسيا فليس لها جواذب حولها تجذبها اليها وتبث فيها النعرة القومية و بغض الاتراك غير العرب فان لهم بلاداً تنسب اليهم وشعباً ينتمون اليهِ. و يدَّعي الارمن ايضاً ان لهم بلاداً ينتسبون اليها ولكن الامر ليس كذلك بل قد امسوا كاليهود فان بلاد اسلافهم اجتاحها الغزاة مراراً فتجزأت بينهم وصارت حدودها القديمة في روسيا وتركيا وايران بل

قد نسي اسم الارمن في بر الاناضول لان الاتراك منعوا استعماله وصار الارمن يسمون انفسهم هايك و بلادهم هايستان . وكردستان اسم لبلاد غير محدودة ولا هي مما يبث النخوة في نفوس الاكراد

والولايات الباقية للاتراك ممتدة من بحر الروم غرباً الى خليج فارس شرقاً ومن البحر الاسود شمالاً الى البحر الاحمر جنوباً وهي تشتمل على بر الاناضول الكثير السكان والخيرات . والعراق المشهور في التاريخ بسهوله ونهريه الفرات ودجلة . و بلاد الشام على ساحل بحر الروم من جبل طورس الى شبه جزيرة سينا . والحجاز واليمن من بلاد العرب وفي الحجاز مكة قبلة المسلمين والمدينة مدفن نبيهم

ووطن الاتراك الآن بلاد الاناضول هناك تراهم ولا يصعب عليك ان تفرق بينهم و بين الارمن واليونان والاكراد والشراكسة والتركمان . هناك الاتراك اهل زراعة ولا تزال فيهم افضل المزايا الجنسية . ما من احد اختبرق تلك البلاد الا ورأى من انسهم وحسن ضيافتهم ما اطلق لسانهُ بمدحهم والاعجاب بهم . وانقطاعهم للزراعة لم يفقدهم صفاتهم الحربية التي جعلتهم من الغزاة الفاتحين . اليهم كان السلاطين يلتفتون دائماً في ساعة الخطر فلا يرون منهم الا النهضة وتلبية الطلب ولو استنزفت الحروب دماء رجالهم . وهم كبار الاجسام كبار الرؤوس مستديرو الوجوه اقوياء عظماً وعضلاً رزينون لا تستفزهم الطفائف ولا تزعجهم الطوارىء حتى لقد تظنهم خاملين وما هم بخاملين . لا يحسبون لاحد حساباً ولا يعتقدون ان احداً يفوقهم في شيء . ولقد فعلت سكك الحديد العجائب في بلادهم وزادت مصادر ثروتها اذا خرجت من الاناضول خرجت من بلاد الاتراك لانها بلادهم بالفعل والبقعة التي رسخت فيها قدمهم وتغلبت طيها اطوارهم وان كانوا فيها اقل من غيرهم عدداً

والعراق لا يختص بشعب دون آخر يضرب البدو في باديه يغزون وينهبون او يغلبون ما هو اقل رجحاً لهم من الغزو والنهب اي رعاية الجمال وتسويم المواشي . وفي مدن العراق مزيج من الارمن والاكراد والشركس واليهود والكلدان واليونان والعرب . وعند خليج فارس امارات صغيرة حربية خاضعة لآل عثمان ولو بالاسم ولا يتعذر على العراق ان يعود الى سالف عهده اخصب بلدان المسكونة . اذكر اسم بغداد وبابل ونينوى فتتراءى لك العظمة والقوة والحضارة والسطوة ومنابع الثروة

سرتُ من عهد غير بعيد من خليج فارس الى الاستانة متبعاً الطريق الذي يراد انشاء سكة بغداد فيه فدهشت كما دُهش غيري مما شاهدتهُ من خيرات الارض وما يمكن ان يستثمر

منها وما خُبِّئَ للالمان من الفنى الوافر . لله ما اخصب تلك البلاد وما اغزر انهارها . اقفرت من سكانها بعد ان كانت جنة لانك كيفما اتجهت رأيت في انقاض المدن آثار المصانع واعمال الري العظيمة من تُرَع وجسور وكلها قد تولاّها الفناء . ودجلة والفرات لا يماثلهما الاّ النيل في خصب مائهِ ونهر ارودي في ذهاب هذا الماء هدراً . كرَّت عليها القرون وهما يسلبان الارض خيراتها ويطرحانها في البحر . وقد ضعف الفرات من طول الاسراف واما دجلة فلا يزال يفيض ويملأ المستنقعات ولكنهما كليهما لا يزالان قادرين على النفع الكثير اذا تمكن السر وليم وككس من لجمهما فتحوّل القفار التي حولهما الى مصر ثانية

وسكة بغداد وري العراق من اربح الاعمال الهندسية ولكن ما حل بتركيا حديثاً لا بدّ من ان يؤثر فيها لان الحصول على المال لعمل مثل هذه الاعمال لم يكن بالامر السهل من قبل فكيف وقد حلّ بالبلاد ما حلّ . كنت اباحث احد الصدور العظام في امر سكة بغداد فقال لي « اني احتاج الى مركبة وجوادين ولكن لدي امورا اهم » . اما الالمان فلا يتعذر عليهم وجود المال لانهم يعلمون انهم ينفقون ديناراً ليكسبوا دنانير وان في التسويف خطراً اكيداً لان الاتراك متى اقتصروا على اسيا وانقطعت صلتهم باوربا رأوا ان هذه السكة لازمة لهم وان لها قيمة تفوق قيمة حديدها ومحطاتها . ولذلك لا يخشى من اعمال سكة بغداد ولكن اعمال الري في العراق لا بدّ من امهالها الى ان تنفرج الخزينة العثمانية . وهنا مجال واسع لاموال الانكليز اذا رضيت تركيا ورضيت الماليا

اما سوريا فلا داعي لوصف خيراتها وما فيها من مصادر الثروة . وبلاد العرب قلما يُعلَم شيء عن يمنها والسكة التي مدّت الى حجازها ليست تجارية بل حربية دينية لتعزيز سلطة السلطان

يظهر من هذا الشرح الوجيز ان المجال واسع لدى الاتراك ليستعيضوا عمّا خسروه من الولايات التي كانت دائماً سبباً لضعفهم فهل هم اهل لذلك . فقد قيل انهم نزلوا البلاد التي فتحوها بجنود على اهبة الارتحال فلم يبتدعوا فيها ولم يغيروا الاّ القليل منها . اما وقد تغلّب عليهم رعاياهم في اوربا فهل تشتد عزائمهم في غيرها وتعتد لهم اعلام النصر . قد يتم لهم ذلك ولكن دونهُ اهوال

ولا يفلح الاتراك في اسيا الاّ اذا تغلبوا على ثلاثة موانع

لما كانت الحرب ناشبة في البلقان لم نسمع كثيراً عمّا كان يجري في ولايات اسيا وبلاد العرب ولكن ذلك لا يدلُّ على ان احوال البلاد كانت فيها قارّة سارّة . فقد كتب مكاتب الشمس من الاستانة في الشهر الماضي يقول « ان الاحوال في كردستان صائرة من ردي الى

اردإ فان رؤساء الاكراد في بتليس وديار بكر خرجوا على الحكومة فعجزت عن صدهم لقلة ما لديها من الجنود . ونهض الاكراد في ولاية وان ويقال ان عبد الرزاق بدرخان الذي اشترك في الواقعة التي انتهت بقتل رضوان باشا وسقوط اسرة بدرخان قام الآن على جمعية الاتحاد والترقي وعضده الشيخ طه والكف حوله جماعة كبيرة من اكراد الفرس . وطلبت الحكومة من عبد القادر افندي الكردي وهو من اعضاء مجلس الاعيان ان يذهب الى كردستان لتسكين الاكراد فاعتذر عن ذلك بانهُ ذاهب لقضاء فريضة الحج »

وقد شاع انهُ عاد الاعتداء على الارمن وان النار المخبوءة تحت الرماد في بلاد اليمن لم تطفأ ومتى علم في اقاصي البلاد ان الحكومة حادت بالفشل التام في حرب البلقان فلا يبعد ان يكثر اعداؤها في ولاياتها الاسيوية . وسيكون اكثر متاعبها من الاكراد والعرب اما الاكراد فاكثرهم اقوام رحّل وكلهم اهل حرب وجلاد شأنهم الغزو والنهب وقد حاول عبد الحميد تسكينهم واستخدامهم لاغراضهِ في المذابح الارمنية فزاد ضررهم حتى صار اول همّ الحكومة الدستورية مطاردة زعيمهم ابرهيم باشا لتخليص البلاد من شرهم وتذوق منهم الامرين حالما توجه عنايتها لاصلاح الولايات الاسيوية

والعرب اصعب مراساً من الاكراد لا لانهم يكرهون الانقياد لرجال الحكومة بل لانهم يختلفون عن الاتراك جنساً وطبعاً ولغةً واخلاقاً . والعربي دستوري شوروي بالطبع واما التركي فحبب للسلطة والاستبداد

طالما حاول الاتراك ان يستولوا على العرب و بلاد العرب فلم يفلحوا . والولايتان الخاضعتان لهم الآن الحجاز واليمن اخضعها محمد علي صاحب مصر ومتى الآن لا يمكن حسبان اليمن من ولايات الدولة . واهل الحجاز يأخذون منها اكثر مما يعطونها وليس لها في بلاد العرب الاّ الحاميات في مكة والمدينة والطائف وصنعاء وجدة والحديدة

اما الارمن فلا خوف منهم اذا عاملهم الاتراك بالحسنى متعظين بما حلّ بهم في الروملي . نعم ان الروم والعرب والترك اجتاحوا بلاد الارمن في ازمنة مختلفة واضطهدوهم حتى اضطروا ان يتغربوا في اقطار المسكونة كاليهود ولم يبقَ منهم الآن عدد كثير الاّ في ولايات ارضروم وان وصواس وخربوط و بتليس وديار بكر وجانب من ولاية حلب وفي الزيتون وسامسون ولكنهم حفظوا جنسيتهم ويجب على الاتراك ان يعرفوا ذلك ولا يغضّوا الطرف عنهُ كما فعلوا في البلقان والاّ اضطروا روسيا الى الانتصار للارمن يوماً ما كما اضطروا البلغار والصرب واليونان الى الانتصار لاخوانهم في البلقان

وامام الاتراك عقبة اخرى اشد من عقبة الاجناس مراساً وهي عقبة الاديان · والدين في الشرق كناية عن الجنس والامة · وان خطر لهم ان يعززوا مركزهم بالدين كما فعل عبد الحميد اصابهم ما اصابهُ لان الاعتراف بالخلافة لسلطانهم ليس بالامر المجمع عليهِ فالشيعة لا توافق السنة واهل السنة ليسوا على تمام الاتفاق في افريقية وتركيا · ولما كانت دولة الاتراك عزيزة الجانب في اسيا واوربا ايضاً لم يكن من الصعب ان يسلم اكثر المسلمين بالخلافة لآل عثمان ان لم يسلم بها كلهم اما الآن وقد أُخذت منهم ولايات اوربا فلا يبعد ان ينازعهم العرب الخلافة ويقولوا انها في قريش

ثم ان نجاح الاتراك في اسيا لا يتوقف على كون سلطانهم خليفة بل على حسن ادارتهم لبلادهم ومراعاتهم لاحوال الزمان والمكان

ولا شبهة ان الاسلام تغلب عند اول ظهوره على دولتين عظيمتين دولة الروم ودولة الفرس وانهُ رفع لواء الحضارة قروناً كثيرة وتناول طاوُسهُ مصباح العلم والحكمة من اليونان وانارو بهِ البلدان التي استولى العرب عليها وعلَّم القرآن ابناء العرب الاميين فصاروا علماء وفلاسفة فنقلوا الفلسفة والطب والفلك والجغرافيا واستنبطوا واكتشفوا في العلوم والفنون · قالوا ان الارض كرة لما كان المسيحيون يحرقون من يقول انها ليست مسطحة وترجموا كتب ارسطوطاليس واقليدس وجالينوس وابقراط وانشأوا المدارس الجامعة في قرطبة واشبيلية وطليطلة فقصدها الطلبة من اقطار اوربا · وحينما كانت الفوضى ضاربة اطنابها في ربوع المغرب والديانة المسيحية في حالة الاحتضار كان العقل العربي يشتغل ويعلم وينظم ويهذب الاخلاق

وربَّ قائل يقول ان كان الامر كذلك وان تمَّ للعرب واهل الاسلام عموماً ما ذكر في القرون الوسطى فلماذا نراهم الآن منحطين عن غيرهم · اسأل العرب فيقولوا لك ان مصباح المعرفة بقي في يدهم الى ان جاء المغول واطفأوهُ · ولكن ليس اللوم على المغول وحدهم بل على كل الذين لا يراعون احوال الزمان والمكان ولا يسيرون مع الدهر بل يجمدون ويحاولون الوقوف على حالة واحدة او يدَّعون التديُّن وهم براء من الدين

واقول في الختام اني شاهدت الاتراك منذ اربع سنوات حاملين على الاستانة ليخلصوا البلاد من عبد الحميد ومعهم رجال متطوعون من البلغار والسرب واليونان والجبل الاسود · وفي شهر نوفمبر الماضي رأيت من آكام شطلجه اولئك البلغار بين انفسهم يحاولون الوصول الى الاستانة ثانية · وقد جرَّب رجال تركيا الفتاة ان يحكموا البلاد بالمركزية وان

يتركوا سكانها لجاءت التجربة بالويل عليهم وعليها فليجربوا الآن اصلوباً آخر وهو ان يحكموا البلاد باللامركزية اي ان يعطوا الاستقلال الاداري لبعض الولايات في اسيا وبلاد العرب . وليتجنبوا قبل كل شيء الاقتداء بعبد الحميد الذي اقام فريقاً من شعبه على فريق آخر . والحكمة تقضي عليهم ان لا يتجاهلوا وجود الدول الاوربية وان روسيا واحدة من تلك الدول وليس من مصلحتها ان تكون دولة الترك على تخومها

وقال الكاتب الثاني — وضع المرشال فون درغولتز (باشا) كتاباً صغيراً بحث فيه في اسباب فشل تركيا الفتاة واحتمال نهوضها من كبوتها . ولما كان المؤلف من اخبر الاوربيين باخلاق الاتراك واطوارهم واعلمهم بمواضع الضعف فيهم فلا غرو اذا ازاح كتابهُ الستار عن الاسباب التي اوصلت الدولة العلية الى حالتها الحاضرة

كان البارون فون درغولتز منذ ثلاثين سنة يعدُّ من اذكى الضباط في الجيش البروسي وادراهم بالفنون الحربية . وبلغت شهرتهُ مسامع عبد الحميد السلطان السابق فعينهُ مفتشاً للمدارس الحربية في السلطنة العثمانية ثم عهد اليهِ في وظيفة مساعد رئيس اركان الحرب . وظل متقلداً هاتين الوظيفتين اثنتي عشرة سنة اي الى سنة ١٨٩٥ . فاستقال من الجيش العثماني وعاد الى الجيش البروسي فبلغ اعلى المراتب فيهِ

بدأ عملهُ في الجيش العثماني بان اعد مشروعاً لرسم السلطنة رسماً طبوغرافياً ومشروعاً آخر لتنظيم الجيش العثماني نفُذ الاول منهما اما الثاني فبقي في عهد عبد الحميد حبراً على ورق

وخطر لهُ مرة ان يمثل حرباً ناشبة بين العثمانيين والبلغار بين ليوضح فيها لضباط اركان الحرب مواطن الضعف والقوة في الجيش المحارب وكيفية ادارتهِ . وفرض ان عبد الله باشا كان قائداً بقيادة العثمانيين وناظم باشا بقيادة البلغاريين . وبعد ما اوضح ذلك للضباط بالرسوم رغب اليهم في ان يزوروا الاماكن التي وقعت فيها هذه الحرب الوهمية لتجلي لهم تفاصيلها وترسخ في اذهانهم ولكن الحكومة قبضت على هؤلاء الضباط وهم يتعهدون مواقع الحرب الخيالية بحجة انهم كانوا يعدون مكيدة للسلطان . ولقي المارشال فون درغولتز صعوبة عظيمة في اقناع عبد الحميد بان الضباط كانوا يقومون بواجباتهم العسكرية لا بتدبير مكيدة لهُ وبعد الليا والتي تمكن من ان يستصدر ارادة سنية بالافراج عنهم ولكن السلطان حظر على جميع قواد الجيش وضباطهِ ان يقوموا بعمل ما من هذا القبيل الاَّ بامر يصدرهُ هو اليهم . ولما كان عبد الحميد يوجس شرًّا من عواقب هذه الاعمال وبعدها من الاسباب التي تسهل تدبير

المكايد لهُ لم يصدر في مدة حكمهِ كلها امراً بالقيام بواحد منها وهكذا اهمل تدريب اركان الحرب في الجيش العثماني على فنون القتال

وكان لا يسمح في تلك الايام لجندي عثماني ان يطلق النار من بندقيتهِ ولو كان الطلق خرطوشة غير محشوة ولا يؤذن لضابط ان يتعرف بالجنود الذين يقودهم . ولم يكن احد من القواد يجرأ ان يأتي عملاً آخر غير السير من بيتهِ الى مكتبهِ ومن مكتبهِ الى بيتهِ . وحدث مرة ان ناظر الحربية غيَّر الطريق الذي كان يسير فيهِ عادة من بيتهِ الى مكتبهِ فدعاهُ عبد الحميد الى قصرهِ وسألهُ عن السبب الذي حدا بهِ الى فعل ذلك

ولما نشبت الحرب البلقانية في شهر اكتوبر كان قد مضى على ترك المارشال فون در غولتز لمنصبهِ في الجيش العثماني سبعة عشر عاماً . ثم انهُ كان يكتب كثيراً في اثناء هذه المدة الطويلة عن الشرق الادنى حبًّا في ابقاء مواطنيهِ على احوالهِ واسداء النصيحة الى رفقائهِ العثمانيين وتشجيعهم على اصلاح جيشهم ولكن ولاءهُ للدولة التي خدمها اكثر من اثني عشرة سنة واخلاصهُ لها منعاهُ من التشهير بها بكشف عورات الاساليب التي كانت متبعة في العهد الحميدي

وقام الضباط الاحداث بانقلاب سنة ١٩٠٨ ولما قبضوا على مقاليد الامور في السنة التالية ارادوا ان يستعينوا بالمرشال فون در غولتز على تنظيم الجيش واصلاحهِ فأبى ان يترك منصبهُ السامي في الجيش الالماني ولكنهُ قال انهُ يسر بزيارة بلادهم من حين الى آخر ومدهم بالارشادات اللازمة . وشهد سنة ١٩١٠ المناورات التي اجريت في جوار ادرنه ولما عاد الى بلادهِ كتب فصلاً مسهباً عنها اطرى فيهِ ما رآهُ من حركات الجيش العثماني وحسن نظامهِ قاصداً ان يشجع بذلك قوادهُ على مواصلة الاصلاح الذي بدأوا بهِ بدلاً من ان يشهر مواطن الخلل فيهِ التي لا بدَّ من ان يكون قد نبههم اليها . وربما كان هذا الاطراء سبباً من الاسباب التي حملت الذين لا يعرفون اخلاقهُ على القاء جانب من تبعة فشل الجيش العثماني في الحرب البلقانية على عاتقهِ وعاتق سائر الضباط الالمانيين الملحقين بهِ . والظاهر انهُ استاء جدًّا من ذلك فوضع كتابهُ هذا ليحيط الشام عن سر هذا الفشل وبين الاسباب التي تؤدي الى نهوض الدولة العلية من عثرتها

سبقنا فذكرنا ان الذين قاموا بانقلاب سنة ١٩٠٨ واخمدوا فتنة سنة ١٩٠٩ كانوا من الضباط الاحداث ولا نغالي اذا قلنا ان معظمهم كان دون سن الثلاثين . فلما انتظمت لهم الامور واستوثقوا من الحكم صرفوا همهم الى احداث نهضة وطنية وكانوا راغبين في ذلك

اشد رغبة الاّ ان معارفهم ولاسيما معارفهم الحربية كانت قاصرة جدًّا وخيالية اكثر مما هي عملية . فقد كانوا يتعلمون في عهد عبد الحميد ولكنهم لم يكونوا يقرنون العلم بالعمل . ويظهر ايضًا ان النجاح الذي صادفوهُ في الثورة التي نادوا بها اضاع رشدهم وصرفهم عن رؤية ما ينقصهم فعزلوا كثيرين من كبار الضباط والجنود المجربين الذين انتهت مدة خدمتهم فنقضوا بذلك نظام الجيش وازالوا ما كان يكنهُ الجنود لرؤسائهم والذين اقدم منهم في سلك الجندية من الاحترام وواجب الطاعة . ثم عمدوا الى تأليف الجيش من الذين وقعت عليهم القرعة ولما شرعوا في تدريبهم شبت نار الثورة في اليمن وتلتها ثورة البانيا فاضطروا ان يرسلوهم لاخمادها مع ما هم عليهِ من عدم التدرب على فنون القتال

وتوريط مختار باشا في دست الصدارة قبل اعلان الحرب وغالت وزارتهُ في التقتير والاقتصاد حتى انها صرفت جيش الرديف الذي جمعهُ محمود شوكت باشا في الاناضول واعدهُ لطوارق الحدثان

ولما عقدت المحالفة بين ممالك البلقان وشهرت الحرب كان جل الجيش العثماني ان لم يكن كلهُ مؤلفًا من جنود غير مدربين وكان ضباطهم قد فقدت همتهم وثبطت عزائمهم من جراء ما لاقوهُ في العهد الحميدي من الضغط على الافكار فماتت افكارهم المولدة وذبلت قرائحهم المبتكرة . وزد على ذلك ان خطة الدفاع امام تشورلو أبدلت في الساعة الاخيرة — لاسباب غير معقولة ولا تزال مجهولة الى الآن — بخطة هجوم كانت سابقة لاوانها ولم يكن الجيش كفوءًا للقيام بها

هذا من حيث فشل الجيش العثماني في الحرب البلقانية اما من حيث مستقبل السلطنة فمن رأي المارشال فون در غولتز ان في وسعها ان تستعيد مجدها وتسترجع عزها وسؤددها اذا اطرح الاتراك المتنورون منازعاتهم الداخلية ونسوا ما في صدورهم من الاحقاد والضغائن صارفين همهم الى ولاياتهم الاسيوية . وهو ينصح لهم ان يحولوا الاستانة الى ترسانة كبيرة ويجعلوها معسكرًا لجلالة السلطان وان ينقلوا كرسي الخلافة الى حلب او بالاولى الى دمشق الشام التي هي الحد الفاصل بين الجزء التركي والجزء العربي من السلطنة . واهم واجب عليهم بعد ذلك ان يصطلحوا مع العنصر العربي ويتفقوا معهُ وان لا يعودوا يعدون سلطنتهم دولة اوربية بل ان ينظروا اليها كدولة اسيوية فقط . انتهى